مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد02 سبتمبر 2021 ص ص: 232-254
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

المراسلات الرسمية مصدر لتأريخ الصراع الزياني المريني(ق7-8هـ/13-14م)- كتاب صبح الأعشى للقلقشندي أنموذجا-

The Official correspondences as a source for the history of the Zayani Marinnid conflict (7-8 AH / 13-14 CE) -The Book of Subh Al-Àacha by Al-Qalqchendi is a Model –

بصديق عبد الكريم♦

جامعة الحاج لخضر باتنة1 bessedik_abdelkarim@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/04/27 تاريخ القبول: 2021/05/21 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص باللغة العربية:

تتناول هذه الدراسة أهمية الرسائل الرسمية؛ أو ما يصطلح عليه بالرسائل الديوانية، نسبة إلى ديوان الإنشاء والكتابة، وهذه الأخيرة تصدر إمّا عن السلطان، أو عن الولاة والعمال، أو تلك الواردة إليهم، حيث تحتوي موضوعات عديدة تحمل في طياتها مادة تاريخية مهمة يمكن أن تفصح عن جوانب ذات أهمية بالغة لم تشر لها المصادر التاريخية الأساسية.

هدفت هذه الدراسة إلى مقارنة وتحليل النصوص والكتابات التاريخية المشرقية التي تطرقت لتاريخ المغرب الإسلامي الوسيط ومقاربتها بالنصوص الكامنة في المصادر المغربية، نعالج في هذا المقال إلتماس مدى مصداقية الوثائق الديوانية الواردة في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لصاحبه القلقشندي والتعرف على تطورات الصراع الزياني المريني في القرن السابع الهجري ق13م من خلال مجموعة من المكاتبات الواردة والصادرة عن دولة مصر المملوكية.

لنخلص في النهاية إلى التأكيد على ان هذه الرسائل الرسمية تعد من المصادر الأولية لكتابة التاريخ السياسي والدبلوماسي للمغرب الوسيط عموماً وتاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني على وجه الخصوص .

♦ المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: المكاتبات الرسمية؛ القلقشندي؛ صبح الأعشى؛ الرسائل السياسية؛ الدولة الزيانية؛ الدولة المرينية؛ المغرب الأوسط.

Abstract: This study deals with the importance of the official correspondences or what is so called Diwaniyah letters relative to the Office of Writings. This type of letters is issued either by the Sultan, or governors and writers working for government. It also contains important historical features that reveal crucial historical facts that cannot be found elsewhere.

Therefore, our work aims to track and understand the nature of the oriental writings that dealt with the history of the Islamic Maghreb, the mediator and the approach underlying the texts in the Maghreb sources, we address in this article is to seek the credibility of the documents Diwaniyah contained in the book :* Subḥa Alāʿ Shiyya Fī Sunāʿihi* to its owner Al- qalqshandiyy and learn about the developments of the Zayani and Marini conflict in the seventh Hijri century (13 AD) through a combination of incoming and outgoing correspondence from the State of Mamluk of Egypt.

Keywords: Official correspondences ; Al -qalqshandiyy; Subḥa Alāʿ Shiyya; political Letters; The State Of Beni Zian; The State Of Beni Marin; Central Maghreb .

مقدمة:

أتاحت لنا دراسة كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي رؤية جديدة حول دراسة متون المصادر المشرقية الجامعة لأخبار المغرب الإسلامي، وهي محاولة جادة في كتابة تاريخ بلاد المغرب الوسيط، من هذا المنطلق جاد اختيارنا على موضوع الصراع الزياني المريني في القرن السابع الهجري (ق13م) من خلال المكاتبات الواردة في كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا لصاحبه أبي العباس القلقشندي نظراً لأهمية الدراسة التي تفيد الباحث في معالجة هذا النوع من الوثائق الرسمية والديوانية.

نتج عن تفكك الدولة الموحدية كسلطة وحدوية في بلاد المغرب الإسلامي نشوء ثلاث دويلات وهي الحفصية في المغرب الأدنى و الزيانية في المغرب الأوسط والمرينية في المغرب الأقصى منتصف القرن السابع الهجري(ق13م)، فكانت كل دولة تحاول استمالة

حلفاء لها وتتوسع على حساب الأخريات بحجة بعث الدولة الموحدية أو التمكن من رياسة زناتة،الأمر الذي أنهك المنطقة اقتصاديا واجتماعيا لاسيما الصراع الطاحن بين أبناء العمومة مرين وعبد الواد في وقت كانت أوربا تحظر لإسترادادها الأندلس والإنبعاث بنهضتها.لكن ثمة مشكلة منهجية تتعلق بالتعرض إلى هذا الصراع بين مؤرخين موالين لجهة المرينيين أوللزيانيين أو مصادر صامتة.وهاته فرصة للتعرض إلى موضوع النزاع بين حاضرتي تلمسان وفاس من خلال إحدى المصادر المشرقية لعله يكون أكثر موضوعية ومصداقية يتمثل في المكاتبات الرسمية الواردة و الصادرة على ديوان الإنشاء في مصر المملوكية.

تحقق إختيارنا على كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا لصاحبه أبي العباس أحمد القلقشندي نظراً لاهمية كتاب صبح الأعشى الذي بمجموعة كبيرة من المكاتبات والمراسلات الرسمية و الإخوانية المتبادلة بين بلاط مصر المملوكية و باقي أرجاء العالم الإسلامي.وفي محاولة منا لإثراء هذه الدراسة يجدر بنا أن نقدم دراسة استقرائية توثيقية لبعض المكاتبات التي إختزنت في طياتها خفايا طافحة وأحداثا تاريخية عنيت بتاريخ الصراع الزياني المريني ورغم تدفق الدراسات التاريخية الحديثة التي أطنبت في هذا الموضوع نريد تقديم خلاصة منهجية تمثلت في أسلوبية التعامل مع هذا النوع من المصادر ومقاربة تاريخية حول أهمية المصادر المشرقية في تدوين تاريخ المغرب الوسيط من جهة ومن جهة أخرى نحاول التحقيق في صدق المكاتبات الرسمية المنسوخة مع مضامين الكتب التاريخية الأخبارية المعاصرة لها.فما اهمية المراسلات الرسمية الواردة في كتاب صح الأعشى في توثيق علاقة الصراع في المغرب الاسلامي؟وهل تطابقت ام اختلفت متونها مع ما جاءت به المصادر الأخبارية المغربية ؟وما هي تطورات الصراع الدائر بين الزيانيين والمرينيين ؟.

كمحاولة منا لتحقيق غرضنا المنهجي من هذه الدراسة حاولنا رصد جميع المكاتبات الواردة في مصدرنا الأنموذج (صبح الأعشى) والخاصة بالمغرب الإسلامي.ثم رصدنا أربع وثائق متقاربة زمنيا تضمنت أحداثا تاريخية حول موضوع الصراع الزياني المريني، تتجلى أهمية الموضوع في تقديم بعض التفاصيل المتعلقة بعلاقات الصراع في المغرب الإسلامي والتي لم تسجلها كتب الأخبار والتراجم.

1- التعريف بالمؤلف و المؤلف:

نستهل المقال بتعريف موجز عن حياة المؤلف القلشندي والتعريف بكتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا حتى نتبين ظروف ومحتوى الكتاب.

1.1- القلقشندي (المولد والنشأة):

هو أبو العباس أحمد بن عبد الشهاب بن الجمال ابي اليمن الفزازي القلقشندي الشافعي ولد سنة 756ه /1355م كني بالقلقشندي نسبة إلى مسقط رأسه قرية قلقشندة الواقعة على الجنوب من مكز طوخ (مديرية القليونة)، نزيل القاهرة، برع في الادب وكتابة الإنشاء وناب في الحكم[1] تقلد عدة مناصب في مصر المملوكية في ديوان الإنشاء ومباشرا في ديوان الاحباس (الاوقاف)كما عمل مساعدا لنائب الإسكندرية الصلاح ابن العوام ناب عن الجلال البلقيني قاضي قضاة الإسكندرية.منذ سنة 791ه/1338م عين كاتباً للدرج الشريف من لدن المقر البدري محمد بن فضل الله العمري[2] ، كما عمل موقعا للدست ونواب الحكم [3]وألف عدة كتب أهمها صبح الأعشى في صناعة الإنشاء وهو عصب مقالنا، كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان[4]. توفي بالقاهرة السبت عاشر جمادى الآخرة سنة821ه /1418م [5].

1-أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأبناء العمر، ج3، تحقيق:حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي/المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، مصر، 1969م، ص178.

2- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، ج1، القاهرة، 1922م، ص21. امتدت دولة المماليك من مصر إلى الشام والحجاز ودام حكمهم من 648ه/1250م إلى 923ه/1517م، ومرت دولتهم بمرحلتين: الأولى دولة المماليك البحرية 648- 784ه/1250-1382م ثم دولة المماليك الجراكسة 784- 923 ه/1382-1517م .جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر في مصر والقاهرة- ج7-،تحقيق: إبراهيم علي طرخان، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1972م. تقي الدين المقريزي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق :مصطفى زيادة، سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج3، القاهرة1934-1972م.

3- يوسف ابن ثغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق:محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص352.

4-القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق:إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري/دار الكتاب اللبناني، ط2، 1982م، ص4.

2.1- كتاب صبح الأعشى(التسمية والمحتوى) :

-عنوان الكتاب:يقصد القلقشندي بمصطلح الأعشى ذلك المريض الذي عدم بصره في الظلام وهو يترقب في الصباح الإنشا الكتابة الديوانية، وهو هيئة تتكفل بتنظيم البريد والمراسلات العامة الصادرة منها والواردة،تلك المهام التي تتطلب من متقلدها دراية بفنون الكتابة ومطلعاً على النظريات السياسية وفاهماً لها.

-محتوى الكتاب:تم تصنيف الكتاب إلى أربعة عشرجزءاً (14)، تضمن مايزيد على سبعة آلاف (07)صفحة حسب نسخة المطبعة الأميرية بالقاهرة.فوض كتابه في عشر مقالات إفتتحها بما يحتاجه الكاتب من الأمور العلمية والعملية ثم اتبع ذلك بالمسالك والممالك في العالم الإسلامي.أما الجزء السادس والسابع والثامن فقد ضمنه مراسلات بين ملوك المغرب والأندلس ومصر في عهد المماليك البرجية والبحرية .

2- دراسة نصوص الرسائل الديوانية:

أفرد المؤلف باباً في كتابه اسماه (في المكاتبات الواردة عن صاحب فاس إلى الأبواب السلطانية ،بالديار المصرية[6]حيث أورد أبو العباس القلقشندي مجموعة من نسخ المراسلات المتبادلة بين الناصر المملوكي وأبي الحسن المريني تم توظيف أربعة (04)منها تتصل بموضوع الدراسة .

1.2- الوثيقة الأولى:

إنفرد القلقشندي بتقديم نسخة فريدة عن مكاتبة واردة على الناصر المملوكي من السلطان أبي الحسن المريني حيث توجهت السفارة المرينية عام 737هـ/1337م الى مصر وتكمن اهمية الوثيقة في ذكر أحداث تاريخية وحقائق أكثر تفصيلاً على ضراوة الصراع الزياني المريني على رياسة بلاد المغرب.

5- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت/لبنان، (د ت)، ص355.

6- القلقشندي، صبح الاعشى، المصدر السابق، ج8، ص87

وهي نسخة جواب واردة على الناصر محمد بن قلاوون[7] من السلطان أبي الحسن المريني جهل تاريخ استصداره وكاتب إنشائه بمسمى:"البشارة بفتح بجاية والانتصار على تلمسان"نستشف من نص المكاتبة أن عزم أبي الحسن على التوسع في المغربين الأدنى والأوسط كان نتيجة للغارات التي شنها السلطان الزياني مخاطباً :" انه اعتدى على من يتاخمه من الملوك ...حتى أن ملك تونس أرسل إلى المقام ابنه ووزيره وسال هان يكون ظهيره على الحق ونصيره"[8] كما أشار أبي الحسن إلى مراسلته السلطان الزياني يطلبه بالمماطلة والمهادنة لكنه أبى غير ذلك في حصار بجاية ومضايقة السلطنة الحفصية .خاصة وأنه إستغل فرصة انشغال أبي الحسن بوصول وفد الأندلس مستصرخاً والذي بدوره لبى نداء إغاثته؛ ومن جهة أخرى انشغال أبو الحسن المريني بمسألة أخيه المقيم في سجلماسة " أعمل أطماعه في التجرئ على بعض ممالكه المحروسة ومد وسار إلى محل هو بيننا كالحد"[9].

كتبت الرسالة في مدينة المنصورة[10] بتلمسان وعن ذلك يدون:"فإنا كتبنا لكم...من منصورة تلمسان حرسها الله تعالى [11]" مما يدل أن المكاتبة وقعت بعد سقوط تلمسان وارتقاء المنصورة إلى حاضرة كمقام تلمسان يستقبل فيها آل مرين الوفود والسفارات.

7-الناصر محمد بن قلاوون(684ه-741ه/1284م-1341م)ولد بالقاهرة.وكني بأبي المعالي وأبو الفتح، هو تاسع سلاطين المماليك البحرية بمصر، حكم مصر ثلاث مرات، من ديسمبر 1293 حتى ديسمبر 1294، ومن 1299 حتى 1309، ومن 1309 حتى وفاته عام 1341. من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية. خاض حروباً ضد الصليبيين والمغول، وحروباً إصلاحية في الداخل ضد الفساد. شهدت مصر في فترة حكمه الثالثة نهضة حضارية وعمرانية كبيرة. انظر ابن حبيب الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، تذكرة النبيه، تحقيق محمد محمد أمين، جامعة القاهرة، مطبعة دار الكتب، ج1- 1976م، ص167، موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق ودراسة أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، 1406ه، ص 22.

8 -القلقشندي، صبح الاعشى، المصدر السابق، ج7، ص398.

9- القلقشندي، المصدر السابق، ج7، ص ص398، 399.

10- المنصورة:اختطها السلطان ابو يعقوب المريني خلال حصاره تلمسان واقام عليها سورا منيعا في 05شوال702ه.ابن ابي زرع الفاسي،الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق:كارل بوحن نورتنبرغ، مكتبة الثقافة الدينية، ط1،القاهرة/مصر، 2014م، ص353.كذلك يذكر ابن خلون في هذه الفترة ان:"اختط السلطان بقرب تلمسان البلد الجديد لسكناه ونزل عساكره وسماه المنصورة وأدار على البلد المخروب سياجاً من السور"."...ونطاقا من الخندق".

حمل الرسالة الشيخ أبو عبد الله بن الجراح الذي كلف بإيصال المكاتبة والإشارة الشفوية إلى الناصر المملوكي حول موضوع حج والدة أبي الحسن وأدائها النسك بالحرمين[12].لكن المراد الأخر من الرسالة إعلام الطرف المصري بالتغيرات السياسية الطارئة في المغرب الإسلامي والأعمال الجهادية في الأندلس.

نجد في جزء التعريف من الرسالة تأصيل لنسب أبي الحسن المريني نفسه ب" ملك البرين ،ومالك العدوتين،أبي سعيد...ابن مولانا أمير المسلمين ،المجاهد في سبيل رب العالمين ملك البرين ،ومالك العدوتين،أبي سعيد " وفي هذا مغالطة في النسخ إذ أن الرسالة موجهة إلى أبي الحسن علي وليس إلى والده أبي سعيد بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق.أما لقب ملك البرين ومالك العوتين فالمراد به التحسيس بالمسؤولية عن المغرب والأندلس وإجازة للتوسع المريني في المغربين الأوسط والأدنى[13] .

نقف في نص الرسالة على عبارات دالة على قدم العداء الدفين بين قبيل عبد الواد وبني مرين "وذلك أن أسلافه بني زيان، كانوا قد استولوا على هذه المملكة في سالف الزمان،ولم يزل بينهم وبين أسلافي المحتوين على ملك المغرب الأقصى وقائع توردهم الحمام ،وتذيقهم الموت الزؤام ،فيدعون المنازعة،ويعودون للموادعة"[14]وفي هذا يوثقه عبد الرحمن ابن خلدون كشاهد للعصر ذاكرا في عبره توالي الحملات المرينية على تلمسان وبالخصوص تلك التي شنها يوسف بن يعقوب(637هـ-706هـ) التي بلغت خمسة على توال سنوات "695هـ، 696هـ ، 697هـ ، 698هـ[15].

2.2- ذكر حصار أبي يعقوب تلمسان:

عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ)- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار ابن حزم، المجلد الرابع بيروت/لبنان، ط1، 2011م، ص2900، 2899.

11-القلقشندي- المصدر السابق، ج8، ص89.

12- المصدر نفسه، ج8، ص90، 89.

13- القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص88، 87.

14- نفسه، ج8، ص91.

15 -عبيد بوداود، تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، عدد6-7، جامعة وهران/الجزائر- جوان /ديسمبر2005م، ص207.

يستشهد ابو الحسن المريني ببطولات جده يوسف بن يعقوب في محاولة لاقتحام تلمسان ذاكراً الحصار الطويل الذي دام تسع سنين(09) من تاريخ02شعبان698هـ-ذي القعدة706هـ [16]"ثم لم يلبثوا، أن ينكثوا، ولم يصبروا ، أن يغدروا، إلى أن كان من حصار عمنا المقدس المرحوم أبي يعقوب ...فأكثر موتهم وكدر محياهم، وتمادى بهم الحصار تسع سنين...وهنالكم اتصلت بينكما المراسلة، وحصلت الصداقة والمواصلة"[17].

ما يلاحظ من بداية نص الرسالة تلهف أبي الحسن المريني لإخبار الناصر المملوكي دخول تلمسان سنة 737هـ/1337م وان كانت الرسالة لم تشر بتاريخ الحدثة ولا بصدورها "وما تشوق ذلك الإخاء، لمواصلة الكتب بسار الأنباء، فان من أقربها عهداً وأعذبها حديثاً يهادى ويهدى، ما كان من أمر العاق قاتل أبيه الحال من إقليم تلمسان ومالكه بالمحل النبيه" [18]يشير الى حادثة انقلاب السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن الأول [19]على حكم أبيه أبي حمو موسى الأول سنة 718هـ/1318م[20].

يشير في الرسالة أن أبا تاشفين بعد أن استأثر بالحكم وقتل والده لم يجب طلب أبا سعيد المريني في المهادنة تسليمه احد خونة بني مرين وان غرض أبا سعيد المريني في السكوت عنه كان من شان الموادعة[21] بين الطرفين"ولما سول الشيطان لهذا العاق قتل

16-الحصار الطويل: يسميه ابن خلدون الحصار الكبير انطلق يعقوب من فاس رجب 698هـ ،ووصل تلمسان 2شعبان698هـ وانتهى الحصار بقتله من طرف احد الخصيان بطعنة وتوفي يوم الأربعاء 7ذي القعدة 706هـ وقبر بشالة.عبد الرحمن ابن خلدون. العبر، المصدر السابق، ج4، ص2880.

17 -القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص91.

18 -نفسه، ج8، ص91.

19-أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو بن عثمان بن يغمراسن:بويع بتلمسان الخميس 23جمادى الأولى سنة 718هـ.قتله السلطان أبو الحسن المريني في 28رمضان 737هـ. ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق:هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة/مصر، ط1، 2001م، ص272.

20- أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن:بويع بتلمسان أثناء حصار أبي يعقوب المريني في الاحد21شوال707هـ. قتله ولده يوم الاربعاء22جمادى الأولى718هـ.ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، المصدر السابق، ص71.

21- يذكر ابن مرزوق مراسلة أبي سعيد لأبي تاشفين الكف عن مضايقة الحفصيين وأرسل أبو تاشفين سفارة تقلدها ابن مرزوق والقاضي ابو علي حسن بن يحي الحسيني وأبو عبد الله بن أبي العيش فتقبلها أبو سعيد.ابن مرزوق محمد ابن مرزوق التلمساني- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن

والده، والاستيلاء على طارفه وتالده، لم يقدم عملاً على أشخاص إرساله بحضرة مولانا...في السلم راغباً، وللحكم بموادعته طالباً، فاقتضى النظر المصلحي حينئذ موافقته في غرضه" [22] وفي هذا إجابة صريحة أبي سعيد المريني في مهادنة الزيانيين لأجل التفرغ في مسائل أخرى كالأندلس.يتوافق هذا النص مع ما أودعه احد مؤرخي العصر يحي ابن خلدون الذي يكشف أن مقتل أبي حمو الأول كان ب تواطؤ أبي تاشفين مع الأعلاج مثل هلال القطلاني ومسامح الأصغر وعلي ابن تازجرارت في قتل أبيه فحبسه في داره واغتيل مع بطانته يوم الأربعاء22جمادى الأولى سنة 718ه مع أبي سرحان الوزير وإبني الملاح[23].

إلا أن أبا تاشفين استغل الفرصة في مضايقة الحفصيين والإغارة على أحواز هم وحاول غزو بجاية ثلاثة مرات من 721ه-726ه/1321-1326م ،بل أن السلطان الزياني تحالف مع أعراب إفريقية لذلك الغرض "وسرى إلى بلاد جيرانه الموحدين داؤه، وطال عليهم تضييقه واعتداؤه...وباطن جماعة من عرب افريقية المفسدين وجروه بحبل الإطماع إليها ،وأقام ببجاية عشرين سنة يشتد على بجاية الحصار، ويشن على أحواز تونس الغار" [24]ويذكر أن النجاحات العسكرية التي حققها كانت بتواطؤ وممالأة من ابن اللحياني[25] وابن الشهيد[26] وابن عمران[27] "حتى كان من هزيمة جيشه لصاحبها ما كان ،بممالأة منهم ومن

مولانا ابي الحسن، دراسة وتحقيق:ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الطباعة الشعبية للجيش، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص117.

22 -القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص92، 91.

23- أبو زكريا يحي ابن خلدون،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق:عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزء الأول، طبعة خاصة، الجزائر، 2011م، ص237-238.

24-القلقشندي- صبح الاعشى- المصدر السابق، ج8- ص92.هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، النشر الجامعي الجديد- تلمسان/الجزائر، 2017م، ص242.

25-اللحياني عبد الواحد بم محمد وحمزة ابن عمر بن أبي الليل السليمي شيخ أعراب افريقية إلى أبي تاشفين لغزو الحفصيين723ه. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ص240.

26 إبراهيم بن ابي بكر الشهيد من اعياص الحفصيين عينه السلطان أبو تاشفين الزياني قائداً في حركته على تونس وقسنطينة سنة 725ه/1324م.ابن خلدون، العبر، ج4، ص2776.

27 إبراهيم بن أبي بكر بن ابي عمران من اعياص الحفصيين من قادة ابي تاشفين الزياني إنتصر على السلطان ابي يحي الحفصي في موقعة الرياس من نواحي هوارة، واستولى على تونس بعدها سنة 727ه/1326م. ابن خلدون، العبر، ج4، ص2777.

غيرهم من وراتيه كابن اللحياني، وابن الشهيد، وابن عمران"[28].إن هذا الطرح يؤكده لنا ابن خلدون عن توجه أبي تاشفين الى بجاية وإمتنع عليه الحاجب ابن غمر[29] ثم رجع الى تلمسان وابتنى حصونا وأوطاناً على بجاية ليتجهز بها :"إبتنى بوادي بجاية من أعلاه حصن بكر ثم حصن تيمزيزدكت ثم اختط تيكلات[30] على مرحلة منها بلداً أسماه تيمزيزدكت[31]"كما يشير إلى تحالف أبي تاشفين مع أعراب افريقية:"واستحثه أمراء الكعوب من بني سليم لملك افريقية حين مغاضببتهم لمولانا السلطان أبي يحي" [32]وفي هذا يشير يحي ابن خلدون إلى مراسلة أشياخ افريقية :حمزة بن عمر ومحمد بن طالب بن مهلهل ومحمد بن مسكين الحكيمي يستحثون أبا تاشفين للزحف على افريقية سنة725ه[33].

---

28 -القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص92.

29 - محمد بن أبي بكر المدعو بابن عمران أمير ينحدر من السلالة الحفصية طالب بالعرش من طرابلس وتغلب على السلطان الحفصي في عدة مواقع محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، وهو مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه:محمود أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص144.

30 حصن منيع يقع عن ثاني مرحلة للخارج من بجاية وبه المنزل، وهو حصن منيع على شرف مطل على وادي بجاية، وبه سوق قائمة وفواكه ولحوم كثيرة رخيصة، وبحصن تيكلات قصور حسان وجنات ليحيى بن العزيز .الحميري ابن عبد المنعم(ت. 900 هـ / 1495 م)، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984م، ص147.

31 حصن منيع شيده أبو تاشفين الزياني بجاية ما بين سنوات 729ه/ 1328م فبعد أن بنى فيها حصن بكر و أنزل فيه الجند والعتاد وجعل قيادته ليحي بن موسى الجمي ، و ظل بمكانه من البلاد الشرقية ، رأى السلطان ان حصن بكر لم يعد يسع الجنود و الآليات الكثيرة فقرر بناء مدينة جديدة تحتوي على قلعة ضخمة بظاهر بجاية و بالتحديد بسوق الخميس على حافة الوادي وجعلها قاعدة لجيوشه في البلاد الشرقية ، فتم بناءها في مدة قياسية و أطلق عليها اسم تمزديكت تشبيها لها بحصن تمزديكت بظاهر وجدة على الحدود الغربية ، فقد كانت القلعتان تلعبان الدور نفسه في مراقبة الجارين الغربي و الشرقي . ابن خلدون، العبر، ج4، ص2776.محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص124.

32- ابن خلدون- العبر- ج4- ص2895، 2894.انظر عن: زحف الرياش:امتد زحف أعراب افريقية وأمرائهم من مرمجانة سنة 729ه حيث زحفت عساكر زناتة إلى السلطان ابي يحي وفي مقدمتهم عبد الحق بن عثمان ومحمد بن أبي عمران حيث انهزم السلطان الحفصي أبو يحي واسر ولداه أحمد وعمر وأشخصا إلى تلمسان وأصيب أبو يحي بجراحات نقل بعدها على سفينة إلى بونة ثم إلى بجاية. ودخل ابن عمران تونس وتلقب بالسلطان .ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص2895.

33 -يحي ابن خلدون، بغية الرواد-، ج1، ص241.

مما استدعى للسلطان الحفصي أبا يحي إلى مراسلة المريينين عبر وزيره وابنه أبي زكريا وإستصراخ النجدة منهم لإسترجاع سلطانهم من بني زيان بعد دخولهم تونس في قوله:"فادى ذلك صاحبها السلطان أبا يحي...إن بعث إلينا وزيره في طلب النصرة رسولاَ، وأوفد علينا اعز ولده أبا زكريا في إذهاب المضرة عنه دخيلاً"[34]ويبدو أن هذا النص موافق لما ذكره صاحب العبر عن استنجاد الحفصيين بأبي الحسن مدون أن يشير إلى مصاهرتهم له حين أشار حاجب السلطان الحفصي محمد بن سيد الناس على ابي يحي بان يوفد ابنه الأمير أبي زكريا إلى أبي سعيد المريني حيث نزلوا بغساسة ساحل المغرب حيث قبل أبي سعيد طلبهم واشترط مسايرة الجيش الحفصي في منازلة تلمسان ونهض لها سنة 730ه[35].وهذا ما يؤكده ابن الأحمر في قوله:" ...وتحرك إليه المولى السلطان أبي الحسن المريني فنازله بتلمسان في شوال عام 735ه...وبقتله إنقرضت الدولة العبد الوادية"[36].

أجاب أبو الحسن المريني نداء الإستغاثة "فخاطبناه إذ ذاك هذا الخائن العاق مبصرين ...فأزمعنا قدعه،وأجمعنا رده وردعه" [37]غير ان الإجابة بردع الزيانيين وكف أبا تاشفين التضييق على الحفصيين تزامن مع وصول سلطان غرناطة مستغيثاَ على النصارى وإجابة أبي الحسن المريني بالدعوى"فجهزنا معه ولدنا عبد الواحد في أربعة ألاف من الأبطال وأمددناهم بم كفاهم من الطعام والعدة والمال،فأجاز من سبتة إلى الخضراء عجلاَ،ولم يقدم على منازلة جبل الفتح عملاً"[38]، توجه أبي الحسن المريني صوب الأندلس وقدم المدد في بحر الزقاق(جبل طارق) لردع ملك النصارى الذي كر منهزما على أعقابه بعد وصولة المؤنة والنجدة المرينية[39].وعن هذه الوفادة يذكر ابن خلدون وصول وفد سلطان ابن الأحمر على أبي الحسن سنة 732ه بفاس واستقبله بوشكاه حال جبل الزقاق

34- القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص92.

35- ابن خلدون، العبر، ج4، ص2895. عقد السلطان ابو يحي الحفصي مصاهرته بابنته مع الأمير أبي الحسن المريني وبعث بها حتى وصلت مرسى غساسة ساحل المغرب سنة 731ه. نفسه، ص2895.عن مراسلة الحفصيين لأبي سعيد سنة 730ه أرسل الوزير محمد بن عبد الله بن أحمد بن تافراجين وولده.يحي ابن خلدون، البغية، ج1، ص242.

36- ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، نشر المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1962م، ص52.

37- القلقشندي، المصدر السابق، ج8،ص92.

38- المصدر نفسه، ج8- 92.

39-نفسه، ج7، ص401.

حيث "عقد لابنه الأمير أبي مالك خمسة آلاف من بني مرين، وانه مع السلطان محمد بن إسماعيل لمنازلة الجبل "حتى تغلبوا عليه واسترجعوه من النصارى سنة 733ه[40].

كما يشير أبي الحسن المريني إلى محاولة أخيه حاكم سجلماسة[41]التحالف مع أبا تاشفين عبد الرحمن الأول "وكنا في هذه المدة التي جرت بها هذه الأحوال ،وعرت فيها هذه الأهواء والأهوال ،منازلين أخانا الممتنع بسجلماسة من بعض بلاد القبلة ،ومحاولين من إزاحة ضره ،والإراحة من شره، مافيه الصلاح والفلاح على التفصيل والجملة ،لعثايته في الفساد، ودعايته إلى العناد، وعاضدته صاحب تلمسان، ومساعدته على البغي والعدوان "[42]؛ الحقائق نفسها التي وثقتها المصادر التاريخية عن تلك المؤامرة والتواطؤ على أبي الحسن[43].

ينبه أبو الحسن المريني نظيره إلى انتهاز أبي تاشفين عبد الرحمن الأول فرصة انشغال المرينيين بالجبهة الأندلسية في إفتكاك حصار جبل الزقاق[44] من النصارى ومن

---

40 -ابن خلدون- العبر- ج4- ص2894.يقول ابن مرزوق عن هذا: استيلاء النصارى على جبل الزقاق:"وكان فيه للمسلمين اجل المنح استخلاص جبل الفتح...هو باب عدوة الأندلس ومغلقها ...وكان للمسلمين بفتحه الأثر العظيم" محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح، المصدر السابق، ص389.

41-ابو علي بن أبي سعيد بين يعقوب بن عبد الحق:اخ السلطان ابي الحسن المريني تأمر على سجلماسة في حكم أبيه و تصالح مع أخيه أبي الحسن بعد وفاة أبيهما واتفقا على منازلة تلمسان ثم تآمر مع العبد الواديين عليه، لكن أبي الحسن اعتقله وبعد أشهر خنقه في سجنه .ابن خلدون، العبر، ج4، ص2896.

42 -القلقشندي، صبح الاعشى، المصدر السابق، ج8، ص93 .

43-يتحدث ابن خلدون عن مؤامرة أبي تاشفين مع الأمير علي ضد السلطان أبي الحسن المريني :"لما توغل السلطان أبو الحسن في غزاة تلمسان ...دس أبو تاشفين إلى الأمير علي في اتصال اليد و الاتفاق على السلطان ابي الحسن ،وان يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه متى هم به، وانعقد بينهما على ذلك "ويذكر ابن خلدون ا نابا علي خرج إلى درعة وقتل عاملها وولى احد ذويه وسرح العسكر الى مراكش ولما سمع أبو الحسن رجع إلى حضرته ورعزم على الانتقام من أخيه.فتوجه إلى سجلماسة وحاصرها وتلقى أبو علي من أبي تاشفين دعما من الجند لكن أبي الحسن تقبض على أخيه عند باب قصره ثم اعتقله وبعد أشهر خنقه في سجنه .ابن خلدون، العبر، ج4، ص2798.

44 يقصد به مضيق جبل طارق البحري الواقع بين شبه الجزيرة الإيبيرية شمالاً والمغرب الأقصى جنوباً،وهو مجاز البحر بين طنجة، وهي مدينة بالمغرب على البر المتصل بالإسكندرية والجزيرة

جهة سجلماسة في النزاع القائم بين ابي الحسن وأخيه بسبب تحالفه مع بني زيان وهذا ما اعتبره أبو الحسن تدبيرا لفتنة من السلطان الزياني وجب التفرغ له وردعه واصفاً اخاه بالخائن بالقول: "وفي خلال تلكم المنازله، وحال تلكم المحاوله،لاحت للخائن التلمساني فرصة،جرع منها غصه،اذ ظن أنا عنه مشغولون، وفي أمر ما عرض من سجلماسة معتلمون"[45].للأسف أن القلقشندي لم يورد مكاتبة الحفصيين لأبي الحسن حول تهنئته باسترداد جبل الفتح ولا بمكاتبة أبي الحسن نفسه إلى سلطان بني عبد الواد حول الكف عن مزاحمة ملك الحفصيين بعد تفرغ أبي الحسن من فتح جبل الزقاق وحسم منازعته مع أخيه بسجلماسة فرغ لأبي تاشفين "وأوفد السلطان رسله إلى أبي تاشفين جمعاً،وان يتخلى عن عمل الموحدين جملة ،وينزل لهم عن تدلس،ويرجع إلى تحم أعمالهم منذ أول الأمر"لكن أبا تاشفين أغلظ مع رسل أبي الحسن ورفض طلبه .فنهض إليه وعسكر الحشود بفاس سنة 735هـ[46].

وغني عن البيان أن أبا تاشفين الزياني حاول التوغل في مضارب المغرب الأقصى لمرتين_وهذا ما يفهم من قوله "فخرج من بلده على حين غفلة بالعزيمة والجد،إلى حصن تاوريرت[47]الذي هو بين بلاده وبلادنا كالحد"ويضيف إلى ذلك مقاومة بني مرين لزحف أبي تاشفين في حصن ماوريرت" فوجد هنالك ولدنا الأسعد تاشفين،في ثلة من بني مرين...فلما نذروا به ثاروا إليه مسرعين؛فنكص على عقبه،ولم يرى له جنة أوقى من هربه،وعاد لذلك ثانية ،فلم تكن عساكرنا عن طرده وانية،بل ردته في الحافرة..."[48] .

الخضراء، وهي في جزيرة الأندلس، وبينهما اثنا عشر ميلا ويصل بين مياه البحر الأبيض المتوسط ومياه المحيط الأطلسي .ويعرف بتسمية بحر المجاز وجبل الفتح يحدّ المدخل الغربي للمضيق كلّ من رأس سبارتيل بالمغربالأقصى ورأس الطرف الأغر بإسبانيا.الحموي(ت626 هـ/1228م) ،ياقوت الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله ، معجم البلدان، دار صادر، ج1993، 3م، ص144.

45- القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص94.

46-ابن خلدون، العبر، ج4، ص2899.- L. BARGES- *Complément de l'histoire* des Beni-Zeiyan, rois de Tlemcen, Paris, 1887- p214.

47- لعله حصن تاوريرت:ثغر فاصل بين الايالة العبدالوادية والمرينية ،استعمله أبو الحسن كقاعدة لغزو تلمسان وولى عليه ابنه تاشفين ووزيره منديل بن حمامة بن تيربيغين.ابن خلدون، العبر، ج4، ص2797.

48 -القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج8، ص94.

3.2- زحف أبي الحسن المريني على تلمسان وحصارها:

لا تعوزنا القرائن الدالة في الوثيقة على إفتتاح تلمسان كان بعد مضي ثلاثة أشهر ونصف من استرداد جبل الفتح (جبل الزقاق)من النصارى " فسهل الله افتتاحها وعجل من صنائعه الجميلة منها مباحها، وذلك بعد تسليم جبل الفتح بثلاثة أشهر ونصف"[49]، ثم التوجه نحو مضارب الدولة الزيانية"ولما فرغنا والحمد لله من تلكم المشاغل ،وأرغنا الخائن التلمساني ترك ماهو فيه من إثارة الفتن واغل...نهدنا نحو أرضه ،لنجزيه بقرضه؛بجيوش يضيق عنها فسيح كل مدى، وخيول تذر الاكم للحوافر سجداً؛فكلفنا بتسلم منازله منزلاً فمنزلاً، وتسنم معاقله معقلاً فمعقلاً[50]، وجل رعاياه تقر بفضلنا، وتفر من جوره الى عدلنا...حتى لم يبق إلا معقله الأشب، ومنزله..."[51].

وليس أدل على دخول ساحة قصر المشور ؛ويبدو أن هذا النص موافق لما ذكرته المصادر التاريخية بالقول"فنزلنا بساحه، واقبلنا على كفاحه، وجعلنا نقذفهم من حجارة المناجيق، بأمثال النيق، ومن كيزان النفط الموقدة، بأمثال الشهب المرصدة، ومن السهام العقاره..حتى غدت جدرانهم مهدومة، وجسومهم مكلومة، وثغور شرفاتهم في أفواه أبراجهم مهتومة؛ وظلت الفعلة تشيد إزاء أبراجهم أبراجا، وتمهد منها لتسوير أسوارهم أبراجا، وللمعاول في اسافلها اعوال، وللعواسل على أعاليها أعمال...وهدمت أبراجهم الشواهق وردمت حفائرهم والخنادق"[52] وتبدو قيمة هذا النص إلى الاستحكامات العسكرية التي شيدها بنو عبد الواد في ردع المحاصرين لهم.إبان حصار تلمسان"أرسل إليه المقام العالي من جيشه الضخم وعسكره"بل و ألقى القبض على السلطان الزياني وحاشيته" إلى أن أخذوه في جماعة من ابني أبيه و شرذمة قليلة ممن كانت تخالصه في الشدائد وتوافيه " [53].

---

49 - نفسه، ج8، ص93.

50 - يؤكد لنا ابن خلدون هذا الشأن بقوله: المدينة تلوى الأخرى:"مر بوجدة فجمر الكتائب لحصارها ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم واقتحمها...فتغلب على وهران و هنين،ثم على مليانة وتنس والجزائر، كل ذلك سنة ست و ثلاثين736ه ".ابن خلدون، العبر، ج4، ص2900.

51 القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص94.

52 -القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص95.

53 -نفسه، ج7، ص399.

نلتمس مصداقية الوثيقة وأهمية المادة التاريخية التي جابتها دون غيرها من المصادر هو التنويه بمقاومة بني عبد الواد للإجتياح المريني لعاصمتهم في قوله: " وللأشقياء مع ذلك شدة وجلد، وعدة وعدد، وحدة ولدد، يقاتلون حمية، وينازلون بنفوس أبيه...وهم في مثل ذلك لازمون إقدامهم، إلى أن اشتدت أزمتهم..."[54].

نادراً ما يفصح أبو الحسن على عدد القتلى من بني زيان وحاشيتهم والعامة في قوله:"وقتل منهم الزحام من إساره الهدم والحسام، وتملكنا مادارت عليه الأسوار الخارجة كفرار السبع والملعب، وجميع الجنان والعروش التي ما انفك الشقي يجتهد في عمارتها ويتعب"[55].

تمدنا الوثيقة بخطة أبي الحسن في إضعاف عزيمة الجيش ونفوس ساكنة تلمسان حيث عمل أبو الحسن المريني على دعوة أهالي تلمسان في النزوح عن أبي تاشفين بقوله:"وأعلنا بالنداء أن من كل من جاءنا هارباً، ووصل إلينا تائباً منحناه العفو، ومنحنا عنه الهفو...فتبادروا عند ذلك يتساقطون من الأسوار...فرادى ومثنى، ائبين إلى الحسنى، فيسعهم الصفح، ويحسبهم المن والمنح "[56]مع هذا لا يشير صاحب الرسالة إلى مدة حصار تلمسان حيث لم يغفل ابن خلدون عن ذكره أن هذه الحرب دامت عامين[57].

أما عن التفاصيل النادرة التي تقدمها الوثيقة عمل أبي تاشفين على إطلاق سراح المساجين في سجونه بعد أن ارتأى قلة معاونيه ومن بقي معه :"ولما رأى الخائن قلة من بقي معه، وشاهد تفرق من ذلك الموقف جمعه، أمر بسراح من في قبضته وسجنه، واعتقدهم عونا له فكانوا أعون شيء على وهييه ووهنه" ثم يذكر قيام جنده بحفر أسوار المدينة واختراق الأبواب نهاراً مما دفع بأهالي تلمسان بالفرار مما يوثق لنا حالة الهلع لسكان المدينة بعد اقتحام الجيش المريني .

يشير أبو الحسن المريني إلى توجيه أمرية إلى ولديه يعقوب وعبد الواحد برصد الفارين وتعقبهم والقبض على أبا تاشفين وحاشيته في صباح يوم الإقتحام للمدينة"فلما

---

54 -نفسه ، ج8، ص95.
55 -نفسه، ج8، ص95.
56 - القلقشندي، المصدر السابق ، ج8، ص95.
57 -ابن خلدون، العبر، ج4، ص2900.

ارتفع الضياء...أمرنا ولدينا:يعقوب وعبد الواحد ووزيرنا القاعد له بالمراصد، بان زحفوا إليها مع أطلابنا تحت راياتنا المنصورة عليها، فرجفت قلوبهم...وتمكنت يد القهر من نواصيهم"[58]، وهذا ما يؤكده صاحب العبر :" وانطلقت أيدي النهب على البلد ، فلحقت الكثير من أهله معرة في أموالهم وحرمهم"[59].

كما تشير الوثيقة الى فرار أبي تاشفين وحاشيته ومقتلهم :"وفر الشقي إلى فناء داره، في نفر من ذويه وأنصاره وفيه ولداه مسعود وعثمان، ووزيره موسى ابن علي ...وعبد الحق بن عثمان الخائن وابن أخيه العامل بعمله ثابت بن عامر، فتكنفتهم هنالك أولياء دولتنا العلية فأوردوهم ويوسف ولد الشقي السالب حياض المنية ونبذت بالعراء المنية..." [60]وهذا ما تطابق ذكره عند ابن خلدون في قوله:" " ووقف أبو تاشفين بساحة قصره مع خاصته، وقاتل هنالك حتى قتل ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي ووليه عبد الحق بن عثمان بن محمد "[61].

وفي رسالة أخرى يخبر أبو الحسن الملك الناصر عن انقطاع الدولة الزيانية:"وكمل لنا والحمد لله بالاستيلاء على هذا القطر جميع البلاد الداخلة في ولاية بني عبد الواد، ونسخت منها دولتهم، ومحيت من صحيفتها دعوتهم..."[62].

4.2 - مصير بني عبد الواد وتلمسان بعد سقوطها:

لم تبخل نصوص الوثيقة السابقة عن وصف مصائر بني عبد الواد بعد سقوط عاصمتهم اذ عمل أبي الحسن على الارفاق بهم بقوله:" فمننا على قبائل بني عبد الواد، وأضفينا عليهم صنوف من الملابس تساءاً ورجالاً، وأوسعنا لهم في العطاء مجالاً...وأقطعنا لهم من بلاد المغرب حاطها الله تعالى ماهو خير من بلادهم ...وخلطناهم بقبائل بني مرين "[63].بل ان السلطان المريني عمل على "إصلاح القضاء وحياء العدل وتخفيف

58 -القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص96.
59 -ابن خلدون، العبر، ج4، ص2900.
60- القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص96.
61 -ابن خلدون، العبر، ج4، ص2900.
62 القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص96.
63 نفسه، ج8، ص97.

الجباية"[64]...وأزيل عن الرعايا بهذه البلاد المشرقية أصرهم،وأزيح عنهم بتوخي العدل فيهم جورهم ووزرهم،وخففنا عنهم ما آد من المغارم،وهاد والمكارم ،فانشرحت صدورهم وصلحت أمورهم"[65].

استعرضت الوثيقة في أواخرها مناقب أبي الحسن بتلمسان"بعد ذلك سير المطاف العدل في الرعية ،واقر أحوالهم في عدم التعرض إلى الأموال والذرية،على ماهو المسنون في قتال البغاة من الأمور الشرعية "[66]. وجاء في المكاتبة ما عمل به أبي الحسن من اتخاذ رجالات بني عبد الواد في الجيش المريني[67]:"وأعددنا منهم لأوان الجهاد أوفر عدد،واعتدنا من فرسانهم ورجالهم لطعان الأعادي اكبر مدد ..."[68].

3- الوثيقة الثانية :

أورد القلقشندي نسخة جواب وارد على الناصر محمد بن قلاوون من السلطان أبي الحسن المريني وهي مشابهة ومختصرة في نصها للوثيقة الأولى جهل تاريخ استصداره وكاتب إنشائه بمسمى:"البشارة بفتح بجاية والانتصار على تلمسان"نستشف من نص المكاتبة أن عزم أبي الحسن على التوسع في المغربين الأدنى والأوسط كان نتيجة للغارات التي شنها السلطان الزياني :" أنه إعتدى على من يتاخمه من الملوك ...حتى أن ملك تونس أرسل إلى المقام ابنه ووزيره وسال هان يكون ظهيره على الحق ونصيره"[69]، كما أشار أبي الحسن إلى مراسلة السلطان الزياني بالمماطلة والمهادنة لكنه أبى غير ذلك في

---

64 عن إسقاط المجابي"ولما استولى على تلمسان و احوازها ،اسقط عنهم ...الربع من سائر المغارم وشتى المجابي والملازم واسقط ألقاباً كانت منكرة جملة فلم يبق لها أثرا".ابن مرزوق،المسند، المصدر السابق، ص ص285

65 القلقشندي،المصدر السابق، ج8،ص97.

66 نفسه، ج7،ص399.

67-يقول عبد الرحمن ابن خلدون عن الإحسان لبني عبد الواد بعد سقوط تلمسان :" ورفع السلطان أبو الحسن القتل عن بني عبد الواد أعدائهم ،وشفا نفسه بقتل سلطانهم، وعفا عنهم وثبتهم في الديوان،وفرض لهم عطاء،واستتبعهم على راياتهم و مراكزهم "2901، 2900 وأما عن الخلط:"وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله ...فانزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة و أجاز منهم إلى ثغور عمله بالأندلس حامية ومرابطين واندرجوا في جملته" الخلط. العبر ، ج4 ، ص 2901، 2900

68- القلقشندي،المصدر السابق، ج8،ص97.

69- القلقشندي،المصدر السابق، ج7،ص398.

حصار بجاية ومضايقة السلطنة الحفصية .خاصة وانه استغل فرصة انشغال أبي الحسن بوصول وفد الأندلس مستصرخاً والذي بدوره لبى نداء إغاثته؛ ومن جهة أخرى انشغال أبي الحسن المريني بمسالة أخيه المقيم في سجلماسة " اعمل أطماعه في التجري على بعض ممالكه المحروسة ومد وسار إلى محل هو بننا كالحد"[70].

مما دفع المرينيين إلى حصار تلمسان"أرسل إليه المقام العالي من جيشه الضخم وعسكره"بل وألقى القبض على السلطان الزياني وحاشيته" إلى أن أخذوه في جماعة من إبني أبيه وشرذمة قليلة ممن كانت تخالصه في الشدائد وتوافيه "[71]، كما أشارت الوثيقة إلى مناقب أبي الحسن في تلمسان:"بعد ذلك سير المطاف العدل في الرعية ،واقر أحوالهم في عدم التعرض إلى الأموال والذرية،على ماهو المسنون في قتال البغاة من الأمور الشرعية "[72].

5.2 – الوثيقة الثالثة:

نستشف من نص الرسالة السابقة حالة التقارب بين دولة المماليك في مصر والدولة المرينية ومحاولة أبي الحسن المريني استمالة الناصر قلاوون كحليف له مما يكشف لنا دور بني مرين في التأثير على العلاقات المملوكية مع بني عبد الواد،ندعم هذا الطرح بنسخة نص أوردها القلقشندي وهي مكاتبة صدرت عن أبي تاشفين عبد الرحمن الأول من تلمسان[73] إلى البلاط المملوكي سنة 725ه/1325م[74] لتحسين العلاقات بين الطرفين .

أوفد أبو تاشفين احد أشياخ بني عبد الواد من فرع ابن طاع وهو الشيخ أبي زكريا يحي في إيصال مكاتبته إلى الملك الناصر وقد عرف به في نص الرسالة قائلاً: "وقد توجه إلى بابكم الشريف قرابتنا الشيخ الصالح الحسيب الأروع الأكمل الزاهد أبي زكريا يحي بن الشيخ الصالح المرابط المقدس المرحوم أبي عبد الله محمد بن جرار الوادي"[75].

70- نفسه، ج7، ص ص، 398، 399.
71- نفسه، ج7، ص399.
72- نفسه، ج7، ص399.
73- القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص86
74 -نفسه، ج8، ص85.يحي ابن خلدون، البغية، ج1، ص133.
75 -نفسه، ج8، ص86، 87.

ويشير أبي تاشفين في رسالته إلى ميل المماليك إلى بني مرين في قوله:"وقد وجب شكركم علينا من كل الجهات، واتصلت المحبة والمودة طول الحياة، غير أن في قلوبنا شيئا من ميلكم إلى غيرنا وإستئناسكم..."وهي إشارة صريحة إلى محاولة استمالة بني زيان لحليف المرينيين بمصر بالتضييق على جيرانهم الحفصيين الأمر الذي استدعى بلوغ الصراع ذروته بين المغارب فأورد في مكاتبته "...وليس بيننا وبين بلادكم من يخشى والحمد لله من كيده، ولا يبالى بهزله ولا جده..."[76].

يتساءل الباحث عن سبب الفتور الكائن ببن المماليك وبني عبد الواد أمام غفلة القلقشندي في نسخ عدد أوفر من مكاتبات بني عبد الواد والمماليك؛ نقف على حادثة أوردها ابن خلدون وهي نهب أعراب زغبة على سفارة مرينية خرجت مع ركب كبير من الحجيج المغاربة موفدين هدية من السلطان أبي ثابت خليفة يوسف بن يعقوب إلى الناصر محمد بن قلاوون وقد انزعج بنو زيان من التقارب المريني المملوكي[77]؛ وصل الوفد المريني تلمسان وطلب من لبي زيان وأبي حمو الأول حكامها خفيرا لتأمينهم شرق الدولة الزيانية فبعث بنو زيان بعض الأعراب لحراستهم ، لكن الوفد اعترضته قبائل زغبة ونهبتهم بنواحي المدية.مما جعل الأطراف الأخرى أبي حمو الأول بتدبير المؤامرة مع عرب زغبة وإستياء الناصر من صنيعه.

مما دفع بسلطان المماليك قلاوون إلى معاتبة أبي حمو الأول ببعثه هدية مرتبة من كوزين من دهن البلسان وخمسة مماليك من الترك بخمسة أقواس، ما دفع أبي حمو إلى توجيه محمد بن هدية إلى كتابة رده على أهانته له قائلا:"أما عتابكم على شان الرسل وما أصابهم في طريقهم، فقد حضروا عندي وأبنت لهم الاستعجال حذراً مما أصابهم، ورأيت مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الأعراب...ام الهدية فردت عليك:أما دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف إلا الزيت، وحسبنا به دهنا، وأما المماليك الرماة فقد إفتتحنا بهم إشبيلية و صرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد والسلام "لم يرد عند القلقشندي إشارات حول هذا الإستياء والتوتر الحاصل بين المماليك وبني عبد الواد سوى ما أشار له ابن خلدون ومؤرخي المغرب.

---

76 -نفسه، ج8، ص86.

77 - القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص86

إن المتمعن في النص الوارد يفهم إنعكاس الصراع الزياني المريني على العلاقات السياسية والتجارية بالمشرق؛ ويمكن أن نقارب بين صعوبة مسالك المغرب الأوسط الشرقية واختلال امن الطرق بعد وفاة يوسف بن يعقوب المريني ومحاولة المرينيين التأثير سلباً على علاقات بني زيان بمصر.

6.2- الوثيقة الرابعة:

نؤكد هذا الطرح بكثرة مراسلات الجانب المريني للمماليك وذلك ما أورده القلقشندي من رسالة واردة على الناصر قلاوون من أبي الحسن عقب غزو تلمسان يعلمه فيها "ولو لم يكن إلا ما نال الحجا من تعيينه وتعديه، وطال عليهم من تعرضه لهم وتصديه، حتى حجز عن الحجاز الشريف قصاده، وحجر بقطع السبيل عن بيت الله الحرام من أراده، فكم سلب الحجاج وسد عليهم المسالك والفجاج، وفرق فريقهم وعوق طريقهم" [78]وفي هذا النص تحريض على أمراء الدولة الزيانية واتهامهم بقطع سبل القوافل والركب الحجي وفي هذا كله مصلحة سياسية للمرينيين في التضييق عليهم وكسب تأييد من مصر للنيل منهم من جهة أخرى يبرر أبو الحسن المريني اجتياحه للمغرب الأوسط وبجاية وتونس لإعادة فتح قنوات الاتصال بين المغرب والمشرق وتامين لطرق الحجيج والسفارات المارة بين الجانبين في قوله :"والآن بحمد الله حقت الحقائق، وارتفعت العوائق...وتيسر القصد إلى البيت الحرام، مكان ترده الزوار عليكم إرسالا، ووفود الأبرار للسلم خفاقا وثقالا، يأتون من كل فج عميق، ويقضون ما يقضون من مناسكهم، امنين في مسالكهم إلى البيت العتيق"[79]. تلتها رسالة سفارة إلى القاهرة شهر رمضان 738هـ/1338م تكفل بها المبعوث الشيخ أبي عبد الله محمد بن الجراح حول موضوع عزم العنبر والدة أبي الحسن أداء مناسك الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم[80].

لعل الرأي الراجح أن المرينيين إستغلوا قربتهم من المماليك في تدوير صراعهم مع بني عبد الواد إذ يفهم من تكاثر السفارات والهدايا تحكم هؤلاء في سياسة المماليك اتجاه المغرب الإسلامي .

---

78 -القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص98.

79 -نفسه، ج8، ص98.

80- انظر نص الرسالة كاملة في:صبح الاعشى، ج8، ص99-103.

خاتمة: يعتبر كتاب صبح الأعشى للقلقشندي من أهم المصادر الأساسية لدراسة تاريخ العلاقات السياسة والحضارية بين المشرق والمغرب الإسلامي بدليل أن القلقشندي كان شاهد عيان وكاتب إنشاء للرسائل الديوانية موضوع الدراسة، وعليه تكتسي كتاباته لنصوص المكاتبات الرسمية أهمية علمية بالغة، حيث إنفرد القلقشندي عن غيره بذكر تفاصيل دقيقة عن الصراع بين الزيانيين و المرينيين وموقف البلاط المملوكي منه وحتى أخبار العدوة الأندلسية .

- حوت النماذج الأربعة من الرسائل الديوانية الموظفة في الدراسة على أسماء المواقع ووقائع المعارك مرفقة بتواريخ حدوثها مع أسماء الأعلام، الأمر الذي زاد من درجة متونة المصادر التاريخية المغربية و تصحيحها وتثبيت حقائقها التاريخية .

- نستنتج من الدراسة بلوغ الباحث الأهمية العلمية والنوعية لنصوص المراسلات والمكاتبات المتبادلة بين دول العالم الإسلامي وحوض المتوسط في العصر الوسيط.وكان النموذج المقدم(صبح الاعشى)أكبر دليل على هذا الطرح،فمن خلاله توصلنا إلى تثبيت مجموعة من الاحداث التاريخية التي تعلقت بتطور النزاع بين الجانب الزياني والمريني وخفاياه ومدى مصداقيتها ومقارنتها بنصوص الكتب الاخبار المعاصرة لتلك الوقائع والأحداث.

- بالرغم من بعض الغموض والمغالطات البسيطة التي طرأت على نص المكاتبات الواردة في كتاب صبح الأعشى إلا أن قيمتها العلمية والتاريخية اجل لعلها تكون مصدرا محايدا وموضوعيا في تسمية الصراع بين الجارين الزيانيين والمرينيين وتأثير ذلك الصراع على علاقتيهما بالمشرق في إطار التنافس السياسي وصراع الغلبة في المغرب الإسلامي؛ مامن شك أن الكتابات المشرقية أضحت من المصادر المهمة لتاريخ حضارة المغرب الإسلامي وإضفاء نفحات جديدة عن العلاقات السياسية والاقتصادية والفكرية بين المغرب والمشرق الإسلامي.

قائمة المراجع:

- ابن ثغري يوسف بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت874 هـ/ 1470م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق :محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن(ت874 هـ/ 1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر في مصر والقاهرة- ج7-،تحقيق: إبراهيم علي طرخان- المؤسسة المصرية العامة- القاهرة- 1972م.

- القلقشندي أبو العباس شهاب الدين أحمد(ت821ه/1418م)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري/دار الكتاب اللبناني، ط2، 1982م.

-القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الانشا- دار الكتب المصرية- ج1- القاهرة- 1922م.

- اليوسفي موسى بن محمد بن يحيى(ت759ه/1358م)، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر- تحقيق ودراسة أحمد حطيط- عالم الكتب- بيروت- 1406ه.

-ابن أبي زرع الفاسي(ت726ه/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق:كارل بوحن نورتنبرغ، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة/مصر، 2014م.

-ابن الأحمر أبو الوليد(ت725ه/1325م)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق:هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة/مصر، ط1، 2001م.

-ابن الأحمر أبو الوليد(ت725ه/1325م)، روضة النسرين في دولة بني مرين، نشر المطبعة الملكية- الرباط، المملكة المغربية، 1962م.

-ابن حبيب الحلبي الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر(ت779ه/1377م)، تذكرة النبيه، تحقيق محمد محمد أمين- جامعة القاهرة- مطبعة دار الكتب- ج1- 1976م.

-ابن خلدون أبو زكريا يحي(ت799ه/1379م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تقديم وتحقيق وتعليق:عبد الحميد حاجيات- عالم المعرفة- الجزء الأول- طبعة خاصة- الجزائر- 2011م.

-ابن خلدون عبد الرحمن (ت808ه/1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر- دار ابن حزم- المجلد الرابع بيروت/لبنان- ط1- 2011م.

-ابن مرزوق محمد التلمساني (ت781ه- 1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، دراسة وتحقيق:ماريا خيسوس بيغيرا- تقديم محمود بوعياد- الطباعة الشعبية للجيش- وزارة الثقافة- الجزائر- 2007م.

-التنسي محمد بن عبد الله (ت899ه/1494م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،وهو مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان،حققه وعلق عليه:محمود أغا بوعياد- موفم للنشر- الجزائر- 2011م.

-الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله(ت626ه/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، ج3، 1993م، ص144.

-الحميري ابن عبد المنعم(ت. 900 هـ / 1495 م)، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984م، ص147.

-السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن(ت902هـ/1428م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د ت).

-العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر(ت852هـ/1449م)، أنباء الغمر بابناء العمر- ج3- تحقيق:حسن حبشي- لجنة إحياء التراث الإسلامي- المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية- مصر- 1969م.

-المقريزي تقي الدين(ت844هـ/1441م)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك- تحقيق :مصطفى زيادة- سعيد عبد الفتاح عاشور- لجنة التأليف والترجمة والنشر- ج3- القاهرة1934-1972م.

- بكاي هوارية - العلاقات الزيانية المرينية- النشر الجامعي الجديد- تلمسان /الجزائر-2017م.

-الطمار محمد ، تلمسان عبر العصور، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص124.

-عبيد بوداود- تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية- مجلة عصور- مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم- عدد6-7- جامعة وهران /الجزائر- جوان /ديسمبر2005م.

L. BARGES- *Complément de l'histoire* des Beni-Zeiyan, rois de Tlemcen- Paris- 1887- p214.

-A. *Dhina*: Le *royaume* abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa Ier et d'Abou Tachfin Ier,O.P.U- ENAL- Alger- p113.